

المجتمع الإنساني



كُرِّمَ الإنسان كإنسان عند الله وأعطيت له مكانة عظيمة أهّلته لخلافة الله في الأرض، وأمّا ما تشرّبه بروح الإيمان فمكانته أسمى وأرقى من سائر الادميين، يقول الله سبحانه وتعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَخَلَقْنَا لَهُمُ فِي الْبَيْتِ وَالْأَيْحِينَ وَالرَّزَقْنَا لَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) (الإسراء/ 70).

كرّم الله الإنسان وفضّله على كثير من خلقه، واستخلفه في الأرض ليُعمّرَها بالسعي فيها لتلبية حاجاته البدنية والروحية، ولإقامة مجتمع إنساني تَسودُه القِيَمُ المُثَلَى من الحق والخير والعدل، ولتحقيق معاني العبودية لله والإيمان به وحده، وإفراده بالطاعة والعبادة دون أحد من خلقه على منهج أنبيائه ورسله.

ثم تبيّن الغاية من خلقه بالسعي لتعمير الأرض ولتلبية حاجاته الروحية والبدنية، كما قال جلّ شأنه: (هُوَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ مَاءً وَأَسْقَاهُمْ لِيُخْرِجَ مِنْهَا ذُرُوعًا وَحَبًّا وَإِذَا طَرَأَتْهُمُ الْمَضَارِعُ مِنْ ثَمَرِهِمْ أَذْيَبَوا وَهُمْ يَكْفُرُونَ) (الأنعام/ 131)، وقال سبحانه وتعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهَا وَإِلَيْهَا النُّشُورُ) (الملك/ 15)، وقال عزّ من قائل: (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ أَحْسَنُ أَعْمَالًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) (الملك/ 2).

وكذلك لإقامة مجتمع إنساني؛ قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات/ 13)، وتسود هذا المجتمع القيم المثلى من الحق والخير والعدل، ففي قيمة الحق، يقول الله عزّ وجلّ: (يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ خَبِيرٌ) (ص/ 25).

عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحَسَابِ (ص/ 26)، ويقول سبحانه وتعالى: (وَلَا تَقْتُلُوا
النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ) (الأنعام/ 151)، ويقول جلّ ذكره: (إِنَّ زَمَّ
السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِبَغْيٍ الرَّحْمَٰنُ
أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (الشورى/ 42)، ويقول النبيّ (صلى الله عليه وسلم): «قُلِ الْحَقُّ
وَلَوْ كَانَ مُرًّا» ، ويقول (صلى الله عليه وسلم): «ما من صدقةٍ أحبَّ إلىَّ من قولِ الحقِّ».

وفي قيمة الخير يقول عزّ وجلّ: (ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا
الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (الحج/ 77)، وقال جلّ ذكره: (وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ
يَدْعُونَ إِلَيَّ الْخَيْرِ) (آل عمران/ 104)، وقال سبحانه وتعالى: (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ
فِعْلَ الْخَيْرَاتِ) (الأنبياء/ 73).

وفي قيمة العدل، الذي يعتبر من أسس الأهداف الإسلامية وغاية حركة الأنبياء والرسل، يقول الله جلّ
ذكره: (إِنَّ اللَّهَ يَأْتِي مُرُكَّبًا أَنْ تَوْدَّوْا الْأَمَانَاتِ إِلَيَّ أَهْلَيْهَا وَإِذَا
حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) (النساء/ 58)، وقال عزّ وجلّ: (إِنَّ اللَّهَ يَأْتِي مُرُ
بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
وَالْبِغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (النحل/ 90)، وقال تعالى: (كُونُوا
قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا
تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا
تَعْمَلُونَ) (المائدة/ 8). وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «عدلُ ساعةٍ خيرٌ من عبادةِ ستين
سنة قيام ليلها وصيام نهارها، وجورُ ساعةٍ في حكم أشدَّ وأعظم عند الله من معاصي ستين سنة».

عن الإمام الكاظم (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: (يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) (الروم/
19)، قال: «ليس يحييها بالقطر، ولكن يبعث الله رجلاً فيحيون العدل فتحيا الأرض لإحياء العدل، وإقامة
الحدِّ في الأرض من القطر أربعين صباحاً».

وأيضاً فإنَّ الغاية من خلق الإنسان تحقيقُ معاني العبودية لله والإيمان به وحده، وإفراجه بالطاعة
والعبادة دون أحد من خلقه على منهج أنبيائه ورسله؛ كما يقول الله تعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا
لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَٰهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (التوبة/ 31)،
وقال جلّ شأنه: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ
وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) (البينة/ 5)، وقال
عزّ وجلّ: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنْزَلَ إِلَٰهَ
إِلَّا أَنْزَلْنَا فَآعْبُدُونِ) (الأنبياء/ 25).